/2024
2025

محاضرات نظرية التأويل

السنة الثانية ماستر تخصص نقد حديث ومعاصر

الأستاذة منى صريفق

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2
قسم اللغة والأدب العربي

المحاضرة الأولى:

تمهيد:

إنّ إنتاج الإنسان لفنون كثيرة كالرواية والشعر والمسرح والرسم والنحت والموسيقى لهي من النتاجات التي تعني يقينا أنه يملك نماذج إدراكية لكل فن من هذه الفنون سواء أكانت كتابية تعبيرية، أم صوتية مادية. وهذه النماذج الإدراكية هي التي تجعله يتخير لنفسه منهجا وطريقا معينة لسلوكها أثناء عملية الكتابة؛ ولذلك نحن خصصنا خوض البحث في الكتابة الروائية –السردية– دون غيرها من الفنون. وهنا تحديدا على اختلاف طرق ومسارات الكتابة الروائية يأتي التأويل كذلك ليشرح ويفسر ويرى بشكل دقيق هذه التجربة محققا نوعا من التوازن بين الكتابة والتلقي. فقد "**برهنت الهيرمينوطيقا في عصر ما قبل الرومانسية أنها "نظرية فن التأويل" الذي يهتم بالنصوص التي تثبت بالكتابة على مر الأزمان، فقد ظهر اهتمامها جليا للفلاسفة لشدة تواشج مواضيعهما والنقاد المشتغلين على النصوص المقدسة، والنصوص القانونية والأدبية الغامضة والتي تستشكل على الإفهام، فهي تروم التفسير الذي يكسر جانب الغرابة في النص الذي يتعرض لعملية القراءة**" [1] ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق ليدرج بعده تساؤلات كثيرة هو: ماهي الهيرمينوطيقا؟ وما هو التأويل من الأساس؟ وهل فن التأويل مفهوميا هو ذاته في الثقافتين العربية والغربية؟

قبل الولوج إلى الإجابة عن هذه التساؤلات يجب أن نشير إلى أن" **التأويل كان في أولياته عمى وفوضى، مثل جميع مظاهر الحياة والمعرفة، يطبعه الاضطراب وعدم الانتظام؛ كان انطلاقا بدائيا نحو الامتلاك، حركةً للذهن تحاول استيعاب ما حولها دون أطر موجِّهة، إلى أن تأسس من خلال تراكماتها علم ونسق يضمها، يظهر لحمتها وسداها؛ فانتظام المعارف داخل أنساق وعلوم، أوجب أن يكون التأويل نفسه ذا موضوع، وذا نسق يحتويه؛ أي بلاغة تقنن عمله، ومرجعا موحّدا ومشتركا وذا طابع تعاقدي، يحد من انحرافات التأويل وزيغه**"[2] هنا تحديدا أصبح

---

[1] – منى صريفق: ***راهنية المعنى بين مشروعية الفهم ومأزق كتابة تاريخ التبرير –مقاربة تأويلية ثقافية في نصوص عربية–***، دار كتارا للنشر، قطر/الدوحة، الطبعة الأولى، سنة 2020، ص33/32.

[2] – محمد البازي: ***التأويلية العربية "نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات"***، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2010، ص 14/13.

فن التأويل كعلم قائم بذاته. إلا أنّ فكرة التأويل الغربي والعربي لاتزال لحد الآن واضحة المعالم في كونهما يختلفان في كثير من النقاط التي يجب معالجتها في عناصر متفرقة لوضع الحدود والأصول والمآلات لكل فرع منهما.

أولا: ماهية التأويل في الثقافتين العربية والغربية

1- التأويل والتفسير في الثقافة العربية

إنّ نقطة انطلاق التأويل في الثقافة العربية هي تلك المنطلقات الدينية التي احتاجت ذات يوم إلى التفسير والتأويل وهذا ما يشرحه لنا محمود خليف الحياني عندما يقول: "**يتصل معنى التأويل في الثقافة العربية بعلاقة جدلية بمصطلح التفسير والذي يمثل بالنسبة للأول الحضور أو الغياب وذلك في دائرة علائقية تستدعي أحدهما الأخر في حدودية الارتباط بحقل الأصول الدينية في تفسير أو تأويل النص المقدس (القران الكريم)**"[1]

[1] -محمود خليف خضير الحياني: ***ماورائية التأويل الغربي: الأصول، المناهج، المفاهيم***، ص 18.

لقد كان لمعنى التأويل في الثقافة العربية معنى التفسير أي تفسير وشرح الشيء لغرض الإبانة، والإظهار وإزالة اللبس عن مقتضى حال الكلام/ القول. إلا أن الفكرة أبدا لم تكن بهذه البساطة أبدا إذ "**يمكننا القول بأن العلماء القدامى قد فرقوا وميزوا بين التفسير والتأويل الذي تحقق في ثلاث ثنائيات متوازية ومتناقضة تنسجم مع حالة التطور والجدل الذي رافق مقاربة النص القرآني والظروف السياسية والاجتماعية التي بلورت ثنائية الظاهر الباطن، النقل العقل، العموم الخصوص، والتي يمكن عدّها بمثابة الحضور والغياب الذي يمكن تتبعه في جذور الخلاف المؤدي إلى بروز إشكالية تعارض العقل والنقل (الوحي/العقل)**"[1] لقد ارتبط التأويل في هذه النقطة تحديدا بجدلية الثنائيات المذكورة كونه انطلق من مسلمة أساسية وهي أنّ التفسير يخص الالفاظ والتأويل يهتم بالمعاني، وبدأت الثنائيات تظهر أمام المشتغلين في هذا المجال لتوسعه وتجعله علمًا قائما بذاته؛ "**وبذلك يقترن التأويل بالنصوص الكثيفة المعاني المتعدية بأفكارها نطاق اللفظ الظاهر وهو المرحلة التي تستثمر النص، في اجراء أو آلية تأويلية ترتبط بالاستنباط تكمن في بعد من أبعاد عملية التأويل متجسدة في دور القارئ في مواجهة النص والكشف عن دلالته**"[2] مما يعني تباعا أن مفهوم التأويل هو في حقيقته بحث عن دلالة المعاني داخل النسق أي الكل وليس الجزء فقط وهذا ما جعل وظيفة القارئ تبرز بقوة، فنجد القارئ يحاول بكل ما أوتي من عدة مصطلحية و آليات قرائية مقاربة ما تأتيه الألفاظ من كوامن للمعنى تتعداه بأشواط كثيرة. كما "**أنّ هذا الدور للقارئ ليس مطلقا أو قائما على الأهواء الذاتية، إنما يخضع لضوابط تأويلية تتمظهر في الحد من حرية المؤول مستثمرة مقصدية النص ومقاصد المؤلف، وأفق الانتظار، وتترتب بالضرورة بمعرفة متعلقة بالنص تتبلور تحت مفهوم التفسير**"[3] إذن توجد عناصر أولية تعتبر معالم طريق للقارئ/ المؤول في الثقافة العربية وهي:

---

[1] - المرجع نفسه، ص 36.

[2] - محمود خليف خضير الحياني: ***ماورائية التأويل الغربي: الأصول، المناهج، المفاهيم،*** ص 38.

[3] - المرجع نفسه، ص 38.

1-مقصدية النص*

2-مقاصد المؤلف*

3-أفق الانتظار

يحكمها ترتيب متعلق في الأساس بالنص في حد ذاته، "**إذ إنّ المؤول لابد أن يكون على علم بالتفسير، الذي يعدّ بمثابة المسار التعضيدي الذي يقدم للتأويل بيانات التحليل العلمي ليشكل التأويل المحاولة لاكتمال الفهم والتحليل بعد التفسير**"[1] بعد أن كانت مرحلة التفسير والتأويل منفصلتين شكليا نجدهما في الأساس عبارة عن حجري الأساس بالنسبة للقراءة التأويلية العربية فالتفسير هو أولى المراحل التي يعتمد عليها القارئ/ المؤول ليصل بعد ذلك إلى مرحلة التأويل وهي المرحلة النهائية للقبض على المعاني المستترة في النص (في عمقه). إلا أن القارئ / المؤول في هذه السبيل سيلاقي العديد من الضوابط التي تمنعه من الخوض أو الوقوع فيما يعرف بـ" التأويل المفرط" وهو ما يقول عنه" محمد بازي": "**من التأويل ما هو مفرط ومنه المفرِّط وفي التأويل المفرط إسراف، وهو شبيه بالتغذية الزائدة، لتجاوزه الحدود المقبولة؛ لأنه لا يحتكم إلى ضوابط، يراهن على التخمة الدلالية في عملية إشباع المعنى. وإذا كانت هذه الإشكالات التأويلية –على هذا المستوى– متعلقة بالنص الأدبي،**

---

* **مقصدية النص**: يعتبر تصور "يول" في محاولته بناء فلسفة تأويلية خاصة بالنقد الأدبي، من الاجتهادات الرائدة التي نبهت إلى ارتباط القصدية بشكل وثيق بالبنيات الداخلية للنص في المقام الأول، ثم في المقام الثاني بالسياق الاجتماعي أو التاريخي أو الثقافي الذي كتب فيه النص...فهو يفرق بين المعنى المتعلق بمقاصد المؤلف، وبين الدلالة التي يصل إليها القراء والنقاد. للتوسع يراجع:

- *P.D. Juhl, Interpretation, **an essay in the philosophy of literary criticism**, new jersey, Princeton, 1980.p14.*

* **مقاصد المؤلف** :أن الاستراتيجية النصية، كما دافع عنها "يول"، تقوم على الانسجام النصي مع التأويل؛ فالكلمات والجمل البانية للنص لم توضع وترتب عن طريق الصدفة، وإنما وراءها مؤلف ومقاصد. كما أن المعلومات الحياتية المتعلقة بالكاتب ليس لها الوزن نفسه الذي للدلالة النصية"للتوسع يراجع:

- محمد البازي: ***التأويلية العربية "نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات"***، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2010.

[1] - محمود خليف خضير الحياني: ***ماورائية التأويل الغربي: الأصول، المناهج، المفاهيم،*** ص 38.

فإن الذي يربطها بالنص الديني هو التلاقي في هذه الخيارات الثلاثة الكبرى في عملية بناء المعنى؛ وهي الإفراط والاعتدال والتفريط"[1] وعلى هذا الأساس نجد أنّ من جيد التأويل من كان وسطا لا تفريط ولا افراط فيه، فالذهاب بعملية التأويل نحو الافراط هو الواقع عملية تأويلية تعطي النص أكثر مما يقول وهذا ما يجعل النص يخرج عن مقاصده. أما التفريط في العملية التأويلية فهو ظلم في حق معاني النص التي تحتاج بحثا وتقصيا دقيقين يجعلان من القراءات التأويلية وسيطا يعيد بعث النص من جديد وفق قراءة أكثر قربا من المعاني والمقاصد الشرعية للنص." **يتبين، مما سلف، أنّ التأويلية العربية الإسلامية، رغم تباين اتجاهاتها في الاشتغال، تتفق على حدود لابد من احترامها أثناء فهم النص القرآني. وهي قوانين لا يجوز الخروج عنها، وإلا عدَّ ذلك دخولا في التأويل المفرط أو المفرّط المذمومين؛ فكل رأي مجرد من الدليل والشاهد فهو ينبئ عن قصور وعجز عن إدراك مراتب المؤولين البلغاء وهي درجات ودركات"**[2] إذن فالوصول إلى التحليل التأويلي المثبت في الثقافة العربية الإسلامية هو تلك العملية التي تعتمد في الأساس على مجموع الكفايات التي تتوفر في المؤول من تجميع وتحقيق وتأويل وتنسيق، وحجة ودليل وبلاغة. وإن كان هذا العرض البسيط لمتعلقات التأويل العربي الإسلامي بالنص* القرآني فإن التأويل المتعلق بعالم الإنسان وكل متعلقاته فله جهود لا يستهان بها كذلك وهذا ما يصرح به عمارة ناصر عندما يقول:" **عملت الجهود لتأويلية في الثقافة العربية الإسلامية على تحصيل المعاني الاقترابية من التزود بقاعدة إيمانية تختزل كل جهد موجه لفهم الذات**

---

[1] - محمد البازي: ***التأويلية العربية "نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات"***، ص34.

[2] - المرجع نفسه، ص45.

* سيكون لمفهوم النص: الموظف في البحث الحالي توجه غربي يختلف قليلا عن رؤية الأصوليين العرب لمفهوم النص الذي ينزع لديهم إلى أن النص هو ذلك الذي لا يحتمل التأويل؛ محاولين تبني المفهوم الغربي الذي يقصد بالنص texte الذي يحمل دلالة التشابك والتلاحم، في حين اصطلاحا فإنه سيكون من الموائم لمسار البحث أن يكون تعريفه مرادفا لما ذهب إليه بول ريكور في أن النص هو كل خطاب تم تثبيته بالكتابة. للتوسع يراجع:

- عبد الغني بارة: **إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي الجديد "مقاربة حوارية في الأصول المعرفية"**، الهيئة العربية المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الأولى، السنة 2005.

الإنسانية للوصول إلى الإلهي"[1] وهذا لا يعني بتاتا أن التأويل العربي قد تجاوز فكرة اقتران هذه العملية العقلية بالنص القرآني بل على العكس من ذلك فهي جعلت وجود الذات الواعية المفكرة في الثقافة الإسلامية العربية متعلقا بما هو منزل في هذا النص وبما يمكن تأويله وتحقيقه ضمن ممارسات هذه الذات.

[1] - عمارة ناصر: ***اللغة والتأويل "مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي"***، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الفارابي، منشورات الاختلاف، بيروت/الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 2007، ص109.